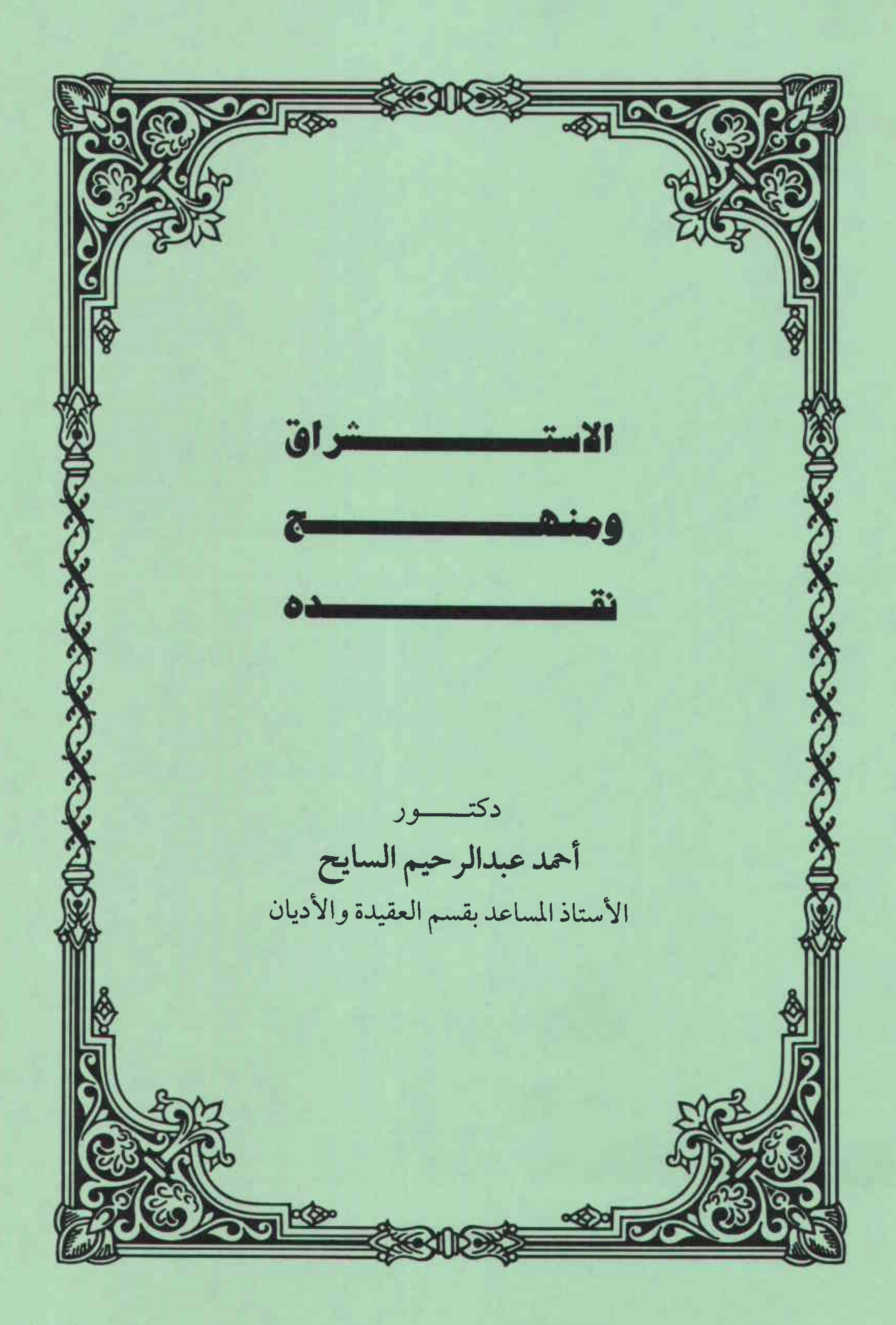


الاستشراق ومنهج نقده

دكتور

أحمد عبدالرحيم السايح

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والأديان

قد يكـون من البديهيـات التي لا تحتـاج الى دليل، ولا تخفي على بـاحث أو دارس: أن الغرب والشرق، لم يكونا منعزلين عن بعضهما. بـل اتصلا ببعضهما اتصالاً - أيا كان هذا الاتصال- منذ القدم. . وتاريخ هذا الاتصال حـافل بالتفاعلات، والصراعات الثقافية، والسياسية بين هذين العالمين. (١)

فأوروبا اكتشفـت الفكر الإسلامي، في مرحلتين من مـراحل تاريخها، فكانـت مرحلة القرون الوسطى، قبل وبعـد توماس الأكويني(٢). تريد اكتشاف هـذا الفكر وترجمته. و من أجل إثـراء ثقافتها، بالطـريقة التي أتاحـت لها فعلاً، تلك الخطوات، التـي هدتها إلى حـركـة النهضـــة، منـذ أواخـر القـرن الخامـس عشر الميـــلادي، وفي المرحلـة العصريـة والإستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى. لا من أجل تعديل ثقافي. بل من أجل تعـديل سيـاسي، لوضـع خططها السياسيـة، مطابقـة لما تقتضيه الأوضـاع في البلاد الإسـلاميـة من نـاحيـة، ولتيسير هـذه الأوضاع طبـق مـا تقتضيـه السياسـات في البـلاد الإسلامية. (٣)

ويذكـر المؤرخون لـلاستشراق أن الجيوش الأوروبية الصليبيـة لما هاجمت بـلاد الإسلام كانت مدفوعة الى ذلك بدافعين:

الدافـع الأول: دافع الدين والعصبية العمياء، التـي أثارها رجال الكنيسة، في شعوب أوروبا، مفتريـن على المسلمين، أبشع الافتراءات، محرضين النصـارى أشد تحريـض على تخليص مهد المسيح، من أيدي الكفار- أى المسلمين- فكانت جمهرة المقاتلين، من جيوش الصليبيين، من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينيـة، من ديارهـم عن حسن نية، وقوة عقيدة، الى حيث يلاقون الموت والقتل والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشاً بعد جيش.

والـدافع الثـاني: دافع سياسي استعماري، فلقـد سمع ملوك أوروبا بما تتمتـع به بلاد المسلمين من حضارة وثروات، فجـاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيـح، وما في نفوسهم إلا الرغبـة في الاستعمار والفتح. وشـاء الله أن تـرتد الحمـلات الصليبية كلهـا مدحـورة مهـزومة. وقـد رأى الصليبيـون بعـد الاخفاق عسكـريـاً، أن يتجهـوا الى دراسة شئـون المسلمين وعقائدهم. تمهيدا لغزوهم ثقافياً وفكرياً. ومن هنا كانت النواة الأولى لجمعيات المستشرقين. (٤)

فالاستشر اق يمثـل ظاهرة بـارزة، من مظاهر تلـك التفاعلات، والصراعـات، التي

قامت بين الشرق والغرب، ويمكن النظر إلى الاستشراق على أنه فرع من فروع المعرفة في الثقافة الغربية، موضوعه: الشرق. وكلمة مستشرق تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق ولغاته، وأدابه، وحضارته وأديانه. والاستشراق بهذا المعني مفهوم أكاديمي. وقد نشأ هذا المفهوم في أوساط جامعية، ولا زال يستخدم في أوساط أكاديمية. فالمستشرق هو من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه. (٥)

ولقد كان الهدف الرئيسي من انشاء مؤسسات الاستشراق هو تزويد المنصرين بمعارف واسعة ومتنوعة حول الإسلام وأهله، كي يتسللوا بعد ذلك إلى الدوائر العلمية الإسلامية: من مدارس، ومعاهد، وجامعات، ليعيثوا فيها فساداً، بجانب تصديهم لأبناء الدول الإسلامية، وإلحاقهم بهذه المؤسسات، والاشراف على تعليمهم وتوجيههم. (٦)

ومفهوم الاستشراق قد مر بمراحل مختلفة، تأثر خلالها، بعوامل وقوى دينية وثقافية، وسياسية مختلفة. ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى ثلاث مراحل متميزة:

* المرحلة الأولى:

وتمتد من بداية الاستشراق، حتي بداية عصر النهضة الأوروبية، ولقد تطور الاستشراق في المرحلة الأولى، من كتابات فردية غير منظمة. حتي أصبح بحثاً منظماً ورسمياً. بمعنى أنه أصبح يتم في مؤسسات رسمية، وتحت إشرافها، وهي الجامعات. أما من حيث محتواه وخصائصه في هذه المرحلة. فقد اتسم في مجمله بالعداء للإسلام. وساده اتجاه لاهوتي خرافي متطرف، في جدله، وعدائه للإسلام. . وكان الاستشراق في هذه المرحلة، مظهرا للصراع الديني والأيديولوجي بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرق الإسلامي.

* والمرحلة الثانية:

وتمتد من عصر النهضة حتي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. وفي هذه المرحلة أثرت في مفهوم الاستشراق عدة عوامل: أهمها النزعة الإنسانية التي سادت في عصر النهضة، وحركة التنوير «النزعة العقلية»: فأدت هاتان النزعتان الى دراسات للشرق الإسلامي أكثر موضوعية.

* والمرحلـــــة الثالثـــــة :

مـن القرن التـاسـع عشر الى وقتنا الحالي. وشهـدت المرحلة الثـالثـة للاستشراق عـدة تطورات في مفهـومه وحـركته. وفي هـذه المرحلة، عـاد طابـع العداء ليغلـب على الغرب للشرق.(٧)

واذا كان الاستشراق، قد بدأ بدراسة اللغة العربية والإسلام، فان الدافع لذلك لم يكن دافعاً علمياً خالصا، لدى جمهرة المستشرقين، لأن من طبيعة الدافع العلمي أن يكون نزيهاً عـادلاً، حـريصاً على استجـلاء الحقيقـة، بتجـرد، وصـدق، وانصاف. لا تتحكـم فيـه موروثات، أو رواسـب ثقيلة، مما صنعتها البيئـة الخاصة، أو أملته وقائع تـاريخية معينة، تتسم بتسجيل فترات الخصومات الدموية، والنزاع العدواني.(٨)

ولكن هـذه الشروط التي تجعل دراسـة الاستشراق للإسـلام وتاريخه، واللغة العـربية عملاً علمياً صحيحاً. ليست متوافـرة للمستشرقين الأوروبيين، الذين اتجهوا للدراسات الإسلامية. ذلك أن موقف الأوروبي من الإسلام ليس موقف كره في غير مبالاة فحسب. كما هو الحال في مـوقفه مـن سائر الأديان والثقـافات، بل هـو كره عميـق الجذور يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد. وهـذا الكره ليس عقلياً فحسب، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفيـة قوية. فقد لا تتقبـل أوروبا تعاليم الفلسفـة البوذية أو الهندوكيـة. ولكنها تحتفظ دائماً- فيما يتعلـق بهذين المذهبين- بمـوقف عقلي متـزن ومبني على التفكير. إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام، يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب.

حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبيين، جعلـوا من أنفسهم فريسـة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام. ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر، كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته. إن بعض المستشرقين يمثلـون دور المدعي العام الـذي يحاول اثبات الجريمة. وبعضهـم يقوم مقام المحامـي في الدفاع، فهو مع اقتناعـه شخصياً باجرام موكله، لا يستطيـع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة.(٩)

وعلى الجملة فإن طـريقتي الاستقراء والاستنتاج، التـي يتبعها أكثر المستشرقين تذكـرنا بوقـائع دواوين التفتيش. تلك الـدواوين التي أنشأتها الكنيسـة الكاثوليكية لخصـومها في العصـور الوسطـى، أي أن تلك الطـريقة لم يتفـق لها أبـداً ان نظرت في القـرائن التاريخيـة

بتجرد. ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون إليه مبدئيا. واذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود، عمدوا الى اقتطاع أقسام من الحقيقة، التي شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها من المتن، أو تأولوا الشهادات، بروح غير علمية، من سوء القصد، من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أي من قبل المسلمين أنفسهم.

وليست نتيجة هذه المحاكمة، سوى صورة مشوهة للإسلام، وللأمور الإسلامية، تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا. وليس ذلك قاصراً على بلد دون بلد آخر.. إنك تجده في انجلترا وألمانيا، وفي روسيا، وفرنسا، وفي ايطاليا، وهولندا، وبكلمة واحدة تجده في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام، ويظهر أنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث، حينما تعرض لهم فرصة حقيقية أو خيالية، ينالون بها من الإسلام، عن طريق النقد.[١٠]

إذن: الدافع الرئيسي للاستشراق ليس البحث العلمي الخالص، ولا يمكن أن يوصف بأنه دافع علمي، لأنه لا يحرص على الحقيقة، بل يحاول تشويهها، يباعث من تعصب راسخ، عميق الجذور، يعود إلى النزعة العدوانية الحاقدة، التي دفعت الأوروبيين إلى الحروب الصليبية.[١١]

ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق، أن يتبين بما لا يدع مجالاً للشك. أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق، ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا.[١٢]

والهدف الديني يكاد أن يكون واضحاً في كتابات المستشرقين، وقد بدأه الرهبان الذين كانوا يهمهم أن يطعنوا في الإسلام، ويحرفوا حقائقه، ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية. أن الإسلام - وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين- دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج، لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجتهم الى هذا الهجوم في العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة، وقد زعزعت أسس العقيدة، عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال

الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام، لصرف أنظار الغربيين، عند نقد ما عندهم من عقيدة، وكتب مقدسة. (١٣)

وهناك الهدف التبشيري، الذي لم يتناسوه في دراستهم العلمية، وهم قبل كل شيء رجال دين. فأخذوا يهدفون الى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين، لإدخال الوهن الى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي، والحضارة الإسلامية، وكل ما يتصل بالإسلام من علم، وأدب وتراث. (١٤)

فالهدف الديني للإستشراق كان يسير منذ البداية، في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنباً الى جنب، وتتمثل هذه الإتجاهات فيما يأتي:

(١) محاربة الإسلام، والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها، والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه، والحط من قدر نبيه.

(٢) حماية النصارى من خطره، بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على مافيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

(٣) التبشير وتنصير المسلمين. (١٥)

وإذا كان السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الإستشراق هو سبب ديني وتبشيري، فاننا لا ننكر أن هناك دوافع أخرى للاستشراق، قد تكون سياسية واستعمارية وقد تكون علمية، وتجارية، وشخصية، إلا أن السبب الديني والسبب التبشيري، هما من أكثر الأسباب تحريفاً للحق، وتزييفاً للحقائق، وخلطاً بين الحق والباطل.

فمن باعث الحقد والتعصب، تحرك كثير من المستشرقين، لتحقيق عدد من الأهداف الدينية والسياسية والعلمية المشبوهة، واتخذوا لذلك نهجاً في التشكيك. والمغالطة، وتشويه الحقائق، والإفتراء، والتزوير، وهو نهج لا يسلم منه أو من بعضه، إلا عدد يسير منهم، كما اتبعوا لبلوغ ما يريدون، كل وسيلة، تتيح لهم، بث سمومهم، ونشر أباطيلهم. (١٦)

وقد اتسمت بحوثهم ودراساتهم بالظواهر الآتية:

(١) انكار أن يكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً، منزلاً من عند الله، وحين يُفحِم المستشرقين ما ورد فيه من حقائق تاريخية، عند الأمم الماضية، مما يستحيل صدوره عن أمي مثل محمد (ﷺ)، وتبطل دعواهم ببشرية القرآن الكريم وزعمهم بأنه ليس

أكثر من تعبير عن انطباع البيئة العربية، في نفس الرسول حين تبطل دعواهم التافهة هذه، يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول- (ﷺ) - من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها. ويتخطبون في ذلك تخبطاً عجيباً. (١٧)

(٢) التشكيك في صحة رسالة النبي (ﷺ)، ومصدرها الإلهي، فجمهورهم يذكر أن يكون الرسول نبياً موحى إليه من عند الله عز وجل. ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي، التي كان يراها أصحاب النبي - (ﷺ) - أحياناً، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى (صرع) كان ينتاب النبي - (ﷺ) - حينا بعد حين، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وهكذا. . كأن الله عز وجل لم يرسل نبياً قبله، حتي يصعب عليهم تفسير الوحي، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين، يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأناً من محمد - (ﷺ) - في التاريخ، والتأثير، والمباديء التي نادى بها. كان إنكارهم لنبوة النبي- (ﷺ)- تعنتاً، مبعثه التعصب الديني، الذي يملأ نفوس أكثرهم، كرهبان، وقسس، ومبشرين. (١٨) إن موقفهم من رسول الإسلام - (ﷺ) - يتشكل في إطار ديني صرف، مترع بالتعصب، والتشنج، والإنفعال، مليء بالحقد، والغضب، والكراهية، تحيطه جهالة عمياء، متعمدة حينا، وغير متعمدة أحياناً. جعلت بين القوم، وبين شخصية الرسول - (ﷺ) - سدايصعب اختراقه. والنتيجة ليست أبحاثاً علمية أو موضوعية بحال، إنما ذلك السيل المنهمر من الشتائم، والسباب مارسها رجال دين، من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة ومارسها رجال علمانيون لا علاقة لهم بالكنيسة من قريب أو بعيد. (١٩)

(٣) ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول وسماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله. وإنما هو ملفق- عندهم من الديانتين اليهودية والمسيحية. (٢٠) وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الإلتقاء بين الإسلام واليهودية والمسيحية. (٢١)

(٤) تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان، تحريفاً مقصوداً، واساءتهم فهم العبارات،

حين لا يجدون مجالاً للتحريف. (٢٢)

بهذه الروح بحث المستشرقون في كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين، وقد أتاح لهم تشجيع حكوماتهم، ووفرة المصادر بين أيديهم، وتفرغهم للدراسة، واختصاص كل واحد منهم بفن أو ناحية من نواحي ذلك الفن، يفرغ له جهده في حياته كلها، ساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا بحوثهم بصبغة علمية، وأن يحيطوا بثروة من الكتب والنصوص مالم يحط به كثير من علماء المسلمين الذين يعيشون في مجتمعات لا يجدون فيها متسعاً للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون. (٢٣)

ولا يفوت الباحث أن يؤكد أن المستشرقين، لم يتركوا وسيلة، لنشر أبحاثهم وبث أرائهم إلا سلكوها، ومن أهم ذلك:

١ - التدريس الجامعي، حيث يكاد أن يكون هناك في كل جامعة أوروبية أو أمريكية، معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق. (٢٤)

٢ - جمع المخطوطات وفهرستها، وكان هذا العمل مبنياً على وعى تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثاً غنياً في شتى مجالات العلوم (٢٥)، ولم يقف المستشرقون عند جمعهم للتراث وصيانتهم، بل بادروا إلى فهرسته حيثما وجدوه، فهرسة علمية دقيقة. (٢٦)

٣ - التحقيق والنشر، حيث قام المستشرقون بتحقيق عدد كبير من كتب التراث الإسلامي ونشره، وقد عرفنا الكثير، من كتب التراث محققاً، ومطبوعاً، على أيديهم، ولم يكتفوا بالتحقيق والنشر لأمهات الكتب، في السيرة والتاريخ، وعلوم القرآن، والتراجم، والملل والنحل، والنحو، والتفسير، بل تجاوزوا ذلك إلى التأليف في الدراسات العربية والإسلامية، في التاريخ، والشريعة، والفلسفة، والتصوف، وتاريخ الأدب، واللغة العربية. (٢٧)

٤ - الترجمة من العربية الى اللغات الأوروبية. (٢٨)

٥ - تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام، واتجاهاته، ورسوله، وقرآنه.

٦ - إلقاء المحاضرات في الجامعات، والجمعيات العلمية. (٢٩)

٧- عقد المؤتمرات، وإصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن الإسلام وتاريخه، ونظمه وبلاده، وشعوبه، وتقوم على تنظيم هذه المؤتمرات، واصدار هذه المجلات جمعيات استشراقية، في عدد من البلاد الأوروبية. (٣٠)

٨- عمل الموسوعات، ومن ذلك موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، وقد أصدرها المستشرقون بعدة لغات، ولازالت تجدد طباعتها ويضاف اليها جديد يسيء الى الإسلام. ولابد أن نشير الى الأطلس الجغرافي التاريخي للشرقين الأدني والأوسط، الذي هو قيد الاعداد الآن. ويتوفر على انجازه مجموعة من المستشرقين في المانيا الاتحادية، ويشمل الأقطار الممتدة من السودان غرباً، الى أفغانستان شرقاً. ومن جنوب بلاد العرب، الى البحر الأسود في الشمال وخرائطه لا تتناول المواضع الجغرافية والتاريخية بالمعنى التقليدي، بل تتجاوز إلى مواضع لم يسبق لأحد أن تناولها في الأطالس مثل: المدارس الفقهية، والفتن السياسية، وبعض مظاهر الاتصال، وأماكن العبادة وتوزيع السكان، وسوف ينتهي في أواسط التسعينات. (٣١)

ولاشك أن الإستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية، التي تقدم المدد للتنصير والاستعمار، والعمالة الثقافية، ويغذي عملية الصراع الفكري، ويشكل المناخ الملائم، لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي، واخضاع شعوبه.

فالاستشراق هو المنجم، والمصنع الفكري، الذي يمد المنصرين والمستعمرين، وأدوات الغزو الفكري، بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي، لتحطيم عقيدته، وتخريب عالم أفكاره، والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية. (٣٢)

لقد تطورت الوسائل، وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة. ويكفي أن نشير إلى مراكز البحوث والدراسات، سواء أكانت مستقلة أم أقساماً للدراسات الشرقية، في الجامعات العلمية، وما يوضع تحت تصرفها من الإمكانات المادية، أو المبتكرات العلمية، والاختصاصات الدراسية، تمثل الصور الأحدث في تطور الاستشراق، حيث تمكن أصحاب القرارمن الاطلاع والرصد، لما يجري في العالم يومياً. (٣٣)

ففي القارة الأمريكية وحدها، حوالي عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات، القسم الكبير منها متخصص بشئون العالم الإسلامي، ووظيفة هذه المراكز، تتبع ورصد كل ما يجري في العالم، ومن ثم دراسته وتحليله، مقارناً مع أصوله التراثية التاريخية، ومنابعه

العقدية، ثم مناقشة ذلك مع صانعي القرار، لتبنى على أساسه الخطط، وتوضع الاستراتيجيات الثقافية، والسياسية، وتحدد وسائل التنفيذ. (٣٤)

وان الباحث في مؤسسات الاستشراق، ووسائلها المختلفة، يجد أنها استطاعت، أن تؤثر في العقلية الإسلامية، فهذه دائرة المعارف الإسلامية تعد أكبر مصدر للمعلومات، والحقائق الإسلامية، وأثمن زخيرة لها، وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم، أساساً للمعلومات الإسلامية، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وروحها. (٣٥)

ولقد نجحت العقلية الأوروبية الإستشراقية، في فرض شكليتها وآليتها على التحقيق، والتقويم، والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي. ويمكن القول بأن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث، قد سارت على هذا النهج في التاريخ، والأدب وغيره. . ولم تتجاوزه إلا في القليل النادر، وانتهت الى ايجاد ركائز عربية معبرة عنها، ومتبنية لوجهة نظرها، ومدافعة عن المواقع الثقافية التي احتلتها، حتي في الجامعات والمؤسسات العلمية. لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية. التي اكتسبها بعض المثقفين العرب، من الجامعات الأوروبية. (٣٦)

وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذهب إلى محاولة إلغاء النسق الفكري الإسلامي، ومحاولة تشكيل العقل المسلم، وفق النسق الغربي الأوروبي، وانجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامي، لممارسة هذا الدور والتقدم، باتجاه الجامعات والمعاهد، ومراكز الدراسات، والأعلام والتربية، في العالم الإسلامي، لجعل الفكر الغربي والنسق الغربي هو المنهج والمرجع، والمصدر، والكتاب. (٣٧)

ومما يلحظه الباحث بوضوح: أن عمليات الاستشراق والتغريب، لم تستسلم، ولم تلق السلاح. . لكن لما أعياها السعي تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة والعلة، في بنية العقل المسلم أصلاً، لتأتي على البنيان الإسلامي من القواعد، وترسب في النفوس أن السبب في التخلف، والعجز، والتخاذل الثقافي، وعدم القدرة على الابداع، وقبول الفكر الغربي، هو في بنية هذا العقل، وتكونه، وميراثه الثقافي.

فهو عقل مولع بالجزئية، وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء، وهو عاطفي يحب الإثارة والانفعال، ويعجز عن الفعل، وهو محكوم أيضاً بموروث ثقافي، لا يستطيع الفكاك منه. فهو لا يفكر بطلاقة، وحرية، لأنه محكوم بوحي مسبق، وهو يقوم على منهج

التفكير الاستنتاجي، ويعجز عن التفكير الاستقرائي، وهو معجب بالمنهج البياني، وعاجز عن المنهج البرهاني، وهو يخلط بين الواقع المعاش، والمثال الخيالي، وصاحبه يحب الثأر، ويغرق في الملذات، وأن الإسلام الذي يكون هذا العقل هو دين أمر ونهي، وزجر وكبت للحرية، وإلغاء للإجتهاد، الأمر الذي أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية، والقدرة على الابداع. (٣٨)

ولابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته، فالاستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية، ويوم أن يعي العالم الإسلامي ذاته، وينهض من عجزه، ويلقى عن كاهله أثقال التخلف الفكري والحضاري، يومها سيجد الاستشراق نفسه في أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام، ويومها لن يجد الجمهور الذي يخاطبه، لا في أوروبا، ولا في العالم الإسلامي، ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا- أيا كان هذا- أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا. (٣٩)

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية، فإن علينا من ناحية أخرى، أن نتحرر من عقدة التخلف، التي تسيطر علينا، في جميع مناحي حياتنا، والتي تسد علينا منافذ الأمل، في الخروج من أزمتنا، فقد تحررنا من الاستعمار العسكري، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتي من الغرب، هي نظرة التقدير، والإكبار، حتي وإن كان هذا الذي يرد إلينا، متمثلاً في أزياء غريبة عن أذواقنا وتقاليدنا. (٤٠)

وحتى نكون في مستوى الحوار الفكري، والتبادل المعرفي، ونوقف فعلاً الغزو الفكري والافتراق الاستشراقي، لابد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية. . أن نكون قادرين على الانتاج الفعلي، لمواد ثقافية، تمثل ثقافتنا، وتأتي استجابة لها، وتغري الناس بها، وبذلك وحده نكون في مستوى الحوار، والتبادل المعرفي، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر إلى الخارج دائماً، وانما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولا لملء الفراغ، بعمل بنائي مستمر، وتحصين الذات. (٤١)

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب، اذ قال: إننا إذا لم نتصدى للتيار الاستشراقي بكل قوة، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان، لا محالة والمعركة بين الاستشراق والإسلام معركة فكرية هائلة، جند لها المستشرقون كل المعاول التي تحاول أن تهزم المسلمين،

وتبعدهم عن إسلامهم.

وإن الإنسان الذي يتابع النشاط الاستشراقي، قد يلحظ بوضوح، أن هذا النشاط يمثل قمة التحدي للفكر الإسلامي، وقد يكون معروفاً لدي الباحثين: «أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة- التي كانت تمثل تحدياً للإسلام، والفكر الإسلامي الأصيل، في عصور الإسلام الزاهرة- كانت حافزاً للمسلمين، في تلك الأيام الخوالي، للوقوف أمامها بقوة وصلابة». (٤٢)

وقد رأى الإمام الغزالي، في عصره، أن التيارات الفلسفية، يتردد صداها في الأرجاء، وأنها تصول، وتجول، في تحد سافر، للفكر الإسلامي، والمسلمين، فلم يقف الغزالي موقف المتفرج، ولم يسبّ، ويشتم، ويصرخ، ويولول، ولم يرغب أن يترك الأمر، ويقول لاشأن لي به، ولكنه عزم على خوض المعركة، فأعد العدة، واتخذ لها الأدوات من العلم والمعرفة بما عند هؤلاء.

وقد رأى أن يتقن الفلسفة، ويتفرغ لقضاياها، ويتعرف على مقاصد الفلاسفة، واستطاع في دقة واتقان أن يخرج كتابه: (مقاصد الفلاسفة) وكان ما قام به هو الخطوة الأولى في منهج المواجهة للفكر الفلسفي، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك، بالكشف عما في (مقاصد الفلاسفة) من تناقض للفكر، ومخالفة للمنطق والعقل، وتعثر في المقاصد، فكان كتاب (تهافت الفلاسفة) يمثل قمة المواجهة.

واستطاع بهذا المنهج النقدي أن يواجه المعركة. ويخوض غمارها، في قوة، ودقة. ويقول الغزالي معبراً عن ذلك المنهج: (ثم إني ابتدأت- بعد الفراغ من علم الكلام- بعلم الفلسفة، وعلمت يقيناً أنه لا يقف عن فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتي يساوي أعلمهم في أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره وغائله، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً، ولم أر أحداً من علماء الإسلام، صرف عنايته وهمته إلى ذلك). (٤٣)

وإذا كان الغزالي، قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفي، في عصره، فان الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد ومؤسسات، فمكتبات العالم مليئة بانتاج المستشرقين، وبشتى اللغات الإنسانية، وهناك عشرات المجلات، ومئات المؤسسات التي ترعى الاستشراق، وتعمل لخدمة المستشرقين، وهناك أيضاً آلاف العلماء، والباحثين، من

المستشرقين، الذين يتفرغون لبحوثهم ودراساتهم، وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية، التي تعقد حسب الحاجة في العواصم العالمية.

ولقد كان لحركات الفكر الاستشراقي منذ القرن الثامن عشر، قوة دفع، ورواج واستقطاب، أثارت اهتمام رجال الفكر الإسلامي، بما كتبه المستشرقون عن الإسلام، في الكتب، والمجلات، والموسوعات، وعن مصدريه الأساسيين: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعن النبي الذي بعثه الله بهذا الدين الحنيف(٤٤)، ومواجهة التحديات الاستشراقية، ضرورة لابد منها، إن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا، التي جاء بها الإسلام، وكنا نريد الحفاظ على ذاتيتنا، وشخصيتنا ومواجهة الاستشراق في مجال العقيدة الإسلامية، يحتاج - كغيره - إلى بذل جهود صادقة، ومخلصة، لرد هذه الطعون المفتراة، حتي لا يأتي زمن نجد أنفسنا فيه، بألسنة غير ألسنتنا، نردد ما يقوله المستشرقون، دون وعي أو دون أن نحس أننا مسلمون لنا عقائدنا وشخصيتنا.

ومنهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة، لابد وأن يقوم من وجهة نظرنا على الأصول الأساسية التالية: -

أولاً: استيعاب شامل للانتاج الاستشراقي، في مجال العقائد الإسلامية، وهذا الاستيعاب لابد منه، ومن حق الأمة الإسلامية، أن يعرف أبناؤها ما يقوله الآخرون عنها، في عقائدها وغير عقائدها، ليكون أبناء الأمة على بينة مما يقوله أو يتقوله هؤلاء المستشرقون. **ويلزم هذا الاستيعاب الشامل تحقيق الأمور التالية: -**

(١) القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين في مجالات عقائد المسلمين في القرنين التاسع عشر، والعشرين، بصفة أساسية باللغات الانجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، والإيطالية، والروسية، ويشمل هذا الحصر: الكتب، والمجلات، والدوريات.

والقيام بعملية حصر هذه الأعمال الاستشراقية في مجال العقائد يحتاج الى خبراء وعلماء مسلمين متخصصين، ويحتاج إلى عدد من المساعدين في مجال كل لغة نأخذ منها.

(٢) لابد من توفير كل الأعمال الاستشراقية، المشار اليها، عن طريق الشراء، إذا كانت متوفرة، أو عن طريق التصوير، إذا لم يمكن شراؤها، وتشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية تكون تحت أيدي الخبراء والعلماء.

(٣) يقــوم جهــاز متعــاون مــن الخبراء في اللغــات المختلفــة، بتحضير المادة وتصنيــف الموضوعـات، وضم المادة التي يتكرر الحديـث عنها في لغات مختلفة، تحت مـوضوع واحد.

(٤) تقدم المادة للعلماء الذيـن سيقومون بإعداد النقـود العلمية، ويراعي عنـد تقديم المادة للعلماء، أن تترجـم لهم الأفكار الأسـاسية للقضـايـا المعروضــة، ليكون عنـد العلماء تصور شامل لكـل ما قيل حول القضية المطروحة، وحتي يغطـي التناول للموضوع، وجهات النظر التي قيلت فيه.(٤٥)

(٥) تذكر مع المادة التي تقدم للعلماء أسماء المستشرقين الذين تناولوها وأزمنتهم وبيئاتهم، والدوافع وراء مقولاتهم.

(٦) العمل على بيـان المصادر، التـي اعتمد عليهـا المستشرقون، في كتـاباتهم، عـن عقائد المسلمين، وهل هـي مصادر إسلامية أصيلـة في الموضوع، أم مصادر غير اسـلامية، لأن بعض المستشرقين يعتمـد على ماذكره المستشرقـون السابقون، كمصـدر أساسي، دون الرجوع إلى كتب المسلمين.

(٧) بيان المنهج الذي التـزم به هؤلاء الكاتبون في العقائد، لأن بيـان مناهج المستشرقين، سـوف يكشـف لنـا عـن أخطـاء جسيمــة في المنهـج والنتـائج، والـدارس لمقـولات المستشرقين في العقائد الإسلامية، يجد في هذه الكتابـة، بعداً عن المسلمات، وخروجاً صريحاً على البـداهات. ومـايمكـن اعتباره محاولات متعمـدة لإصـابة هـذه المسلمات والبداهات بـالجروح والكسور، وهي لن تفعل فعلهـا في يقين المسلم، إلا في حالات معينة، بينما نجدها تدفعه في أغلب الحالات وأعمها إلى الاشمئزاز، والنفور.

هذا مـع أن معالجة واقعـة، تمتد جـذورها إلى عـالم الغيب، وتـرتبط أسبـابها بالسماء، ويكون فيها الوحي همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه ورسوله الكريم، ويتربي في ظلا لها المنتمون على عين الله ورسوله ليكون تعبيراً حيـاً عن إيمانهم، وقدوة حسنة، للقادمين من بعـده مـواقـع كهـذه لا يمكـن بحال أن تعـامـل الجزئيـات والـذرات والعنـاصر في مختبر للكيمياء. أو كما تعامل الخطوط والزوايا والمسـاحات على تصاميم المهندسين، بل ولا كما تعامل الوقائع التاريخية التي لا ترتبط بأي بعد ديني أصيل.(٤٦)

إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص، وشبكـة من العوامل والمؤثرات تند عند حدود

مملكة العقل، وتستعصي على التحليل المنطقي الاعتيادي المألوف، ومن ثم فإن محاولة قسرها على الخضوع، لمقولات العقل الصرف، ومعطيات المنطق المتوارثة، لا يقود إلى نتائج خاطئة حينا ولا تستعصي عليه بعض الظواهر حيناً آخر فحسب، بل إنه يقوم بما يمكن اعتباره جريمة قتل بشكل من الأشكال، أو محاولة لتفحص الجسد البشري، كما لو كان في حالة سكون مطلق بعيداً عن تأثيرات الروح وتعقيدات الحياة. (٤٧)

ثانياً: نقد المنهج الذي التزم به المستشرقون في معالجة قضايا العقيدة الإسلامية، ونقد المنهج هو خطوة حاسمة وضرورية قبل البدء في نقد ما جاء من أخطاء وافتراءات في مجال العقيدة، لأن: مناقشة أي من المستشرقين على مستوى التفاصيل والجزئيات العقدية، لا تغني شيئاً، لأنها ستكون بمثابة نقد موقوت يتحرك على السطح، ويستهلك نفسه في الجزئيات، دون أن يبحث عن الجذور العميقة، التي تظل تنبت الشوك والحسك.

والجذور العميقة هي المنهج الخاطيء، الذي تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين، فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروخه استطعنا معرفة المنبع الذي يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية، وخلخلة الأسس التي جاءت بهذه الثمار المرة، واقتلاعها. (٤٨)

ثالثاً: نقد الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون في مجال العقيدة. وعملية نقد هذه الأخطاء، والمزاعم، تقتضي منا عرض الشبهات، والمقولات، ونقدها نقداً علمياً، بعيداً عن النزعات الهجومية، حتي يكون لهذا العمل العلمي، أثره الايجابي، لدى المثقفين من المسلمين، وغير المسلمين. . وحتى يكون كذلك دافعاً للمستشرقين، إلى إعادة النظر في أقوالهم، وعوناً لهم، على تصحيح اتجاهاتهم، وفي النهاية يكون هذا العمل بمثابة تعريف بالإسلام، لكل راغب في التعرف عليه. (٤٩) ولا يخفي أن العمل العلمي القائم على النقد السليم، يحمل العمل البنائي، الذي يأخذ بالناس جميعاً إلى العلم، والمعرفة. والعملية النقدية الهادفة، جديرة بالممارسة، والمتابعة، لإثراء الفكر الإنساني بكل حق، وبكل مفيد...

والنقد المطلوب لشبهات وأخطاء المستشرقين لابد وأن يتجاوز الدفاع المتشنج، إزاء كل ماطرحه أولئك الذين تخصصوا في الاستشراق...

رابعـــاً: إبراز مـا ردده بعض المستشرقين في نقدهم لمستشرقين آخـرين، فإن هـذه النقود العلميـة التي ذكـرهـا المستشرقون لها دلائلهـا، وقد تكـون أبلـغ في باب النقـد، والتصدي، والمواجهة، وما أكثر ما جاء عن المستشرقين في باب النقد. إن ما ذكره بعض المستشرقين في هذا الباب، يشكل ثروة مفيـدة، وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين..

خامسـاً: إثبات أن المصادر التي اعتمد عليهـا رجال الاستشراق غير أصيلة في الموضوع. وقد رأى البـاحثون، أن المستشرقين قـد يرجعـون إلى آراء مستشرقين سابقين قـد أعماهـم التعصب، فنفثـوا سمومهـم فيما كتبـوه، وبعضهم يـرجع إلى مصـادر لا تتصل بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد. وبعضهم يعتمد على كتاب ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وغيرهما من الكتب التي تجري مجراهما.

سادساً: يحسن أن تحاط النقود ببيان ما وقع فيه بعض المستشرقين، من أخطاء علمية، أو لغويـة، أو تاريخية، عـن جهل، أو عن سوء فهـم، وضيق نظر أو عـن شطط في الافتراضات. (٥٠)

سابعاً: أن تقوم النقود، التي توجه إلى الاستشراق، في مجال العقيدة على منهج يضم الأدلة العقلية، والأدلـة النقلية، لأن نقـد الاستشراق هو بـالدرجـة الأولى للمسلمين. حيـث يدركـون أن مـا جاء بـه الا ستشراق تعرض للنقـد. فـلا ينبهرون بـه ولا يخدعون...

كما أن نقـد الاستشراق هو للمستشرقين، وقـد لا يعترفـون بـالدليـل النقلي، فكان لابد من الدليل العقلي المقنع، الـذي يجعلهم يفكرون كثيراً، قبل أن يقدموا على تناول عقائد المسلمين بغير المراد.

ثامنـاً: أن تكون النقود التـي توجه إلى الاستشراق في مجال العقيدة، شـاملة لأراء السلف والخلـف، في مسـائل العقيـدة، مـن الأسماء، والصفـات والتشبيـه والتـأويـل، والقضاء، والقدر. والحريـة، وقضية الألوهية، والإسـلام، والإيمان، والنبوة، والـرسالـة، والـوحـي، والمعجزة، والبعـث ومـا جـرى مجرى هذا مـن مسـائل العقيدة.

ومواجهة الفكر الاستشراقي في مجال العقيد بما ذكره السلف والخلف فيه تضيق

وحصار لآراء المستشرقين.

تاسعاً: لابد من تفرغ عدد كبير، من علماء الأمة الإسلامية- المتخصصين، والذين لهم اتصال بالبحوث والدراسات الاستشراقية - للقيام بهذه النقود العلمية واستخراجها على ماينبغي.

عاشراً: أن تتوفر لهذا العمل الجدية، والجهود المخلصة، لتتمكن الأمة من المواجهة، والعمل.

وهناك أعمال أخرى تتصل بمنهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة، وهي ضرورية ليكون هناك تكامل وحسم في المعالجة.

ونذكر من تلك الأعمال مايلي:

١- أن يصاحب النقود التي توجه للإستشراق في مجال العقيدة عمل: (موسوعة الرد على المستشرقين)، وموسوعة الرد تكون شاملة لكل ماتناوله الاستشراق، وفي هذا يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق: (إن المواجهة الفكرية الجادة هي الطريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين، ومن أجل ذلك ينبغي أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية، ونأخذ في الحسبان، أن لها أثاراً كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين، في العالم الإسلامي، وفي العالم الغربي على السواء، ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة. ولما كان الفكر الاستشراقي مكتوباً بشتي اللغات الحية، ومنتشرا انتشاراً واسعاً على مستوى عالمي، فمواجهته لابد أن تكون على المستوى العالمي نفسه)(٥١)

وقد دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة، في نهاية عام ١٩٧٩م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد (موسوعة للرد على المستشرقين) وقد حضر الندوة عدد يزيد على عشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع، وقد أعدت التقارير وقضى الأمر ونامت الفكرة.(٥٢)

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن (موسوعة الرد على المستشرقين) تختلف عن (منهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة والسنة وغيرهما) لأن الموسوعة شاملة للفكر الإسلامي.

٢ - لابد من عمل دائرة معارف إسلامية، يقوم بعملها العلماء المسلمون (ومشروع

إصدار دائرة معارف إسلامية من بين الأولويات العلمية الملحة، فلا يجوز أن نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية، التي قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية. فقد تجاوزها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات من إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة، وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية، واللغات الأوروبية، تقف على الأقل في مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين، تخطيطاً وتنظيماً، وتتفوق عليها علمياً، وتنقل وجهة النظر الإسلامية في شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء)[٥٣]

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا عرف أن تقاعس المسلمين حتي اليوم عن عمل (دائرة معارف إسلامية) يدل على الضعف الذي يدب في النفوس، وأن مؤتمرات العلماء المسلمين، وقراراتهم تمثل مظاهرة صاخبة، هاجت وماجت، ثم نامت... إن مشكلتنا أننا نتكلم أكثر مما نعمل، وإن شئت فقل: إننا نتكلم ولا نعمل.

ومهمتنا في مواجهة الاستشراق، أن نعمل على إصدار عدة موسوعات ودوائر معارف في التاريخ، والعقائد، والأدب، والأخلاق، والفقه، والحديث، ومختلف العلوم، والفنون، لأن المعركة فكرية قوامها انتشار الكلمة.

٣ - من الضروري لمؤازرة منهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة، أن تكون هناك دوريات، ومجلات، ونشرات بمختلف اللغات تتناول ما يتصل بمواجهة الاستشراق، لمحاصرة الفكر الاستشراقي، وصد هجومه، والوقوف أمام زحفه.

٤ - من الضروري لنجاح التصدي للتيار الاستشراقي أن تكون هناك مؤسسات علمية، وأكاديمية، ودعوية، ترعي شئون النقد، والمواجهة واعداد الدوريات، والمجلات والمؤتمرات.

وفي امكان الأمة الإسلامية، أن تُوْجد الهيئات العلمية العالمية، وتهيىء الأجواء المناسبة، التي تكفل نجاح المواجهة، والتصدي للزحف الاستشراقي، وذلك أن أمتنا الإسلامية حباها الله سبحانه وتعالى، بأعظم النعم، كما ان بها من الجامعات ما يمكن من وجود آلاف العلماء المتخصصين في مختلف العلوم، والفنون.

٥ - أن نمد يد الصداقة والمودة للهيئات الاستشراقية العالمية، وأن يكون لنا دور بالمشاركة

في المؤتمرات الاستشراقية، التي تعقد في مختلف العواصم العالمية.

وهذه المشاركة لها أثر ايجابي، في نفوس المستشرقين، فقد تجعل المستشرقين يشعرون بأننا لسنا منعزلين، واننا نريد أن نفهمهم من نحن؟ ومن نكون؟ ومن الكياسة أن ندعو بعض المستشرقين المنصفين لفكرنا، وتراثنا الى مؤتمراتنا وندواتنا.

٦ - أن تقيم كل جامعة في مجتمعات الأمة الإسلامية معهداً للدراسات الاستشراقية، يمنح الدارسون في هذا المعهد درجات علمية عالمية، وقد لا يتصور الإنسان أن الأمة الإسلامية وقد تعددت جامعاتها المختلفة، لم تعمل بعد على انشاء معاهد أو اقسام للدراسات الاستشراقية، في حين أننا نجد انه ما من جامعة في أوروبا أو أمريكا إلا وملحق بها معاهد وأقسام لدراسة الإسلام والمسلمين، حتى أصبحنا بحركاتنا وسكناتنا واقعين تحت سيطرة وأقوال وآراء الاستشراق.

٧ - أن تعمل كل جامعة، وكل معهد، وكل مؤسسة، على تفرغ عدد معين من أساتذتها للدراسات الاستشراقية، في مواضيع محددة.

٨ - أن يكون هناك تنسيق وتخطيط بين المؤسسات الإسلامية، وتكامل في الموضوعات المطروحة.

وبهذه الأعمال العلمية نستطيع أن نتصدى للتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وبهذه الأعمال نستطيع أن نكشف في وضوح أن جهود المستشرقين لا تستند على حجة، ولا عقل، ولا منطق، بل هي جهود مغرضة، الهدف منها النيل من الإسلام وأهله، وقد اتسمت هذه الجهود بالكذب والافتراء، والمغالطة.

ومن يتصفح كتب المستشرقين وموسوعاتهم ودوائرهم.. يجد مئات من الاتهامات والأباطيل وآلاف التخريجات التي لا صلة لها بالعلم.

واذا كان المسلمون يظنون أنهم في صحوة إسلامية، ووعي اسلامي، فإن من مباديء الصحوة الإسلامية وأولياتها: مواجهة الاستشراق والمستشرقين، حتى لا يأتي وقت تكون فيه هذه الصحوات ارادة استشراقية، وتجارب مرادة، تجعل المسلمين يهتمون بالأشكال والقشور، وكل ما من شأنه أن يبعث على الجمود، والتأخر، والتخلف.

إن أمتنا تتطلع الى غدٍ مشرقٍ والتطلع يحتاج إلى علمٍ وعملٍ، وجهود بناءة تكون علامات مضيئة في الطريقً.

■ الهوامـــش والحواشـــي ■

١ - انظر : الدكتور محمد ابراهيم حسن، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٢٣، ص ٢٥ السنة الثامنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧، الرياض.

٢ - توماس الأكويني ولد سنة ١٢٢٥م وتوفي سنة ١٢٧٤م ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين، في العصر المدرسي المسيحي، وفي سنة ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس.

٣ - مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، ص ٨.

٤ - الدكتور مصطفي السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، ص ١٨٧، ١٨٨ بتصرف ط. المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٥ - انظر الدكتور محمد ابراهيم حسن، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٢٣، ص ٣٥، السنة الثامنة.

٦ - راجع الدكتورة عزيه طه، من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة، العدد الثالث عشر، ص ٢٣، رمضان ١٤٠٩هـ، ابريل ١٩٨٩، مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.

٧ - الدكتور محمد ابراهيم حسن، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، ٢٣ ص ٣٧، ٣٨، باختصار شديد.

٨ - عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ١٨٩ ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

٩ - محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٥٢، ٥٣، ترجمة عمر فروخ، ط. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

١٠ - المصـــدر الســـابق، ص ٥٣، ٥٤.

١١ - عمر عودة الخطيب، لمحطات في الثقافة الإسلامية، ١٩٠، ١٩١.

١٢ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٧١، ط. كتاب الأمة، ١٤٠٤هـ، قطر.

١٣ - عمر عوده الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ١٩١.

١٤ - المصـــدر الســـابق. ص ١٧١.

١٥ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٧٢.

١٦ - انظر : عمر عوده الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية ص ٢٠٠.

١٧ - انظـــر المصـــدر الســـابق ص ٢٠٠.

١٨ - راجع الدكتور مصطفي السباعي، المستشرقون مالهم وما عليهم، ص ١٨ ط. المكتب الإسلامي ببيروت.

١٩ - الدكتور عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية ص ١٥. ط. دار الثقافة بالدوحة ١٤٠٠هـ.

٢٠ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٨٥.

٢١ - راجع عمر عوده الخطيب، لمحطات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٠١.

٢٢ - انظر الدكتور مصطفي السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٨٨.

٢٣ - الدكتور مصطفي السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٨٩ .

٢٤ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص ٥٩ .

٢٥ - المصدر السابق ، ص ٦١ .

٢٦ - الدكتور سامي الصقار، دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، ص ١٥٦ من مجلة المنهل، العدد ٤٧١ من المجلد ٥٠ رمضان وشوال ١٤٠٩هـ ابريل ومايو ١٩٨٩م، جدة .

٢٧ - عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة، رقم ٢٧ ص ٢١ الصادر في ربيع الثاني ١٤١١هـ الدوحة - قطر .

٢٨ - انظر الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٥٩ .

٢٩ - عمر عوده الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ص ٢٠٦ .

٣٠ - المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

٣١ - انظر : عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ص ٢٢ .

٣٢ - المصدر السابق ، عدد ٢٧ ، ص ٨ .

٢٣ - المصدر السابق ، عدد ٢٧ ص ٩ .

٣٤ - المصدر السابق ، عدد ٢٧، ص ٩ .

٣٥ - الشيخ أبو الحسن الندوي ، الإسلام والمستشرقون، مجلة المنهل، عدد ٤٧١ ص ٢٦ .

٣٦ - الاستاذ عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة العدد رقم ٢٧ ص ١٤ .

٣٧ - المصدر السابق ، ص ١٦ .

٣٨ - المصدر السابق ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

٣٩ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٢٧ , ١٢٨ .

٤٠ - المصدر السابق ص ١٢٨ .

٤١ - عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة، العدد رقم ٢٧، ص ٢٩ .

٤٢ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص ١٢٣ .

٤٣ - الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، ص ٩٢ ، تقديم الدكتور عبدالحليم محمود، ط . دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٥م .

٤٤ - الدكتور التهامي نقرة، القرآن والمستشرقون ، ص ٢١ ، من كتاب (مناهج المستشرقون في الدراسات العربية والإسلامية - الجزء الأول) ط مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥م .

٤٥ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٣٤ ، بتصرف واضافة واختصار .

٤٦ - الدكتور عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، ص ٦ ، ط . دار الثقافة بالدوحة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ .

٤٧ - المصدر السابق ، ص ٦ .

٤٨ - المصدر السابق ، ص ٨ .

٤٩ - الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٣٢ .

٥٠ - الدكتور التهامي النقرة، القرآن والمستشرقون، مناهج المستشرقين، ج ١ ص ٢٢ .

٥١ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٣١ .

٥٢ - المصـــــدر الســـــابق ، ص ١٣١ .

٥٣ - المصـــــدر الســـــابق ، ص ١٤٢ .



■ المصـــادر والمراجــع ■

١ - ابــن نــبي
مالك: انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط. دار الارشاد، بيروت ١٩٦٩م.
٢- أســد
محمد: الإسلام على مفترق الطرق، ط . دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٣ - الجنــدي
أنور: إطار اسلامي للفكر المعاصر، ط . المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م ، بيروت.
٤ - الجنــدي
أنور: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ط. المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
٥ - حســن
د. محمد ابراهيم، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، عدد رقم ٢٣، ط. الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
٦ - حســين
د. محمد محمد: الإسلام والحضارة الغربية، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٧ - الخربوطــلي
علي حسن: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٩٧٦م.
٨ - الخطــيب
د. عمر عودة: لمحطات في الثقافة الإسلامية، ط (مؤسسة الرسالة) ، بيروت، ١٩٨٧هـ - ١٩٧٧م.
٩ - خليــل
د. عماد الدين: المستشرقون والسيرة النبوية، ط. دار الثقافة بالدوحة ١٤١٠هـ.
١٠ - زقــزوق
د. محمود حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط. كتاب الأمة بقطر، ١٤٠٤هـ.
١١ - الســباعي
د. مصطفي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ط. المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٢ - الســباعي
د. مصطفي: الاستشراق والمستشرقون، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٥م.
١٣ - الســايح
د. أحمد عبدالرحيم: العلاقة بين الاستشراق والتبشير، ط. كلية أصول الدين والدعوة بشبين الكوم، مصر، ١٩٨٩م.
١٤ - الســايح
د. أحمد عبدالرحيم: هذا هو الاسلام، ط. دار الثقافة بالدوحة، ١٩٨٩م.
١٥ - ســمايلوفتش
د. أحمد: فلسفة الاستشراق، ط. دار المعارف بمصر.
١٦ - ضــياء الديــن
د. حسن: الاستشراق، مجلة كلية الشريعة، العدد الخامس، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ.

١٧ - طـــــــه

د. عزيـة: من افتراءات المستشرقين على أحاديـث التوحيد، مجلـة الشريعة والـدراسات الإسلاميـة ، ع ١٣، رمضان ١٤٠٩هـ، مجلس النشر العلمي بالكويت.

١٨ - الطهطـــــاوي

المستشـار محمـد عـزت اسماعيـل، التبشير والاستشراق أحقـا وحملات، ط. مجمـع البحـوث الاسـلاميـة بـالأزهـر، ١٣٩٧هـ.

١٩ - العقيـــــــقي

نجيب: المستشرقون، ج ١ و ج ٢، ط. دار المعارف بمصر.

٢٠ - فـــــــروخ

د. عمر: الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة من كتاب المستشرقون والإسلام. ط. الهند.

٢١ - القـــــارىء

الشيخ عبدالعزيز: المستشرقون في الميزان، من محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.

٢٢ - الكــــــيلاني

د. نجيب: الإسلام والقوة المضادة، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٣ - اللبـــــــان

ابراهيم عبدالمجيد: المستشرقون والإسلام، ط. ادارة الثقافة بالأزهر، ١٩٦٨م.

٢٤ - مجـــلة المنهـــل

عـدد متخصص: الاستشراق والمستشرقـون، رمضان وشـوال ١٤٠٩هـ، عـدد رقـم ٤٧١، جدة/ المملكـة العربيـة السعودية.

٢٥ - محمــــــود

د. عبدالحليم: أوروبا والإسلام، ط. منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

٢٦ - النـــــدوي

أبـو الحسن علي: الصراع بين الفكـرة الإسـلامية والفكـرة الغربيـة في الأقطـار الإسلاميـة، ط. دار العلـم، الكويـت ١٩٨٣م.

٢٧ - النقـــــرة

د. التهامي: القرآن والمستشرقون، مناهج المستشرقين الجزء الأول، ط. مكتب التربية لدول الخليج العربي ١٩٨٥م.

